أشهر قصص زواج جميلات العرب

obeikandl.com

obeikandl.com

أشهر قصص زواج جميلات العرب

١- عاتكة بنت زيد بن عمرو[1]

لم يقع لامرأة ما نُعِمتْ به عاتكة بنت زيد بن عمرو ، فقد تزوجت أربع مرات: تزوجت بابن خليفة رسول الله ،وثَنَّت بخليفة خليفة رسول الله ، وثَلَّثت بحواري رسول الله ، ورَبَّعت بابن رسول الله ، وكُلاً قتلت.

تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت امرأة لها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها وكانت قد غلبته على رأيه فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في علية يناغيها في يوم جمعة وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ثم رجع وهو يناغيها فقال يا عبد الله : أجمعت[2] قال أوصلى الناس. قال: نعم. قال: وقد كانت شغلته عن سوق وتجارة كان فيها. فقال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة وقد ألهتك عن فرائض الصلاة طلقها فطلقها تطليقة وتحولت إلى ناحية فبينا أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمعه وهو يقول:

أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ ... وما ناح قُمْرِيُّ الحمامِ المُطَوَّقُ[3]

أعاتِكُ قلبي كلَّ يوم وليلة ... لديك بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ

لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأيٌ ومنطقٌ ... وخَلْقَ مصونٌ في حياءٍ ومصدَقُ

فلم أرَ مثلي طلَّق اليوم مثلَها ... ولا مثلَها في غير شيءٍ تُطَلَّقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رق له فقال يا عبد الله راجع عاتكة فقال أشهدك أني قد راجعتها وأشرف على غلام له يقال له أيمن فقال له يا أيمن أنت حر لوجه الله تعالى أشهدك أني قد راجعت عاتكة ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو يقول:

---

(١) انظر : الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (١٨/ ٥٩)، تزيين الأسواق لداود الأنطاكي (١/ ٣٢٤)، أسد الغابة لابن الأثير (٥/ ٤٩٨).

(٢) جمَّع : أي شهد الجمعة وصلاّها.

(٣) ما ذرّ شارق : ما طلعت الشمس حين تشرق.

أعاتِكُ قد طُلِّقتِ في غيرِ ريبةٍ ... ورُوجعتِ للأمر الذي هو كائِنُ
كذلك أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ ... على الناس فيه أُلفةٌ وتبايُن
وما زال قلبي للتَّفرُّق طائراً ... وقلبِي لما قد قَرَّب اللّهُ ساكِنُ
ليَهْنِكِ أني لا أرى فيكِ سَخْطةً ... وأنك قد تَمَّتْ عليك المحاسنُ
فإنك مِمَّنْ زيَّن اللّهُ وجهَه ... وليس لِوَجْهٍ زانَه اللّهُ شائنُ

قال وأعطاها حديقة له حين راجعها على ألا تتزوج بعده فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف أنشأت تقول

فلِلّه عينَا مَنْ رأى مثلَه فتىً ... أكَرَّ وأحمَى في الهياج وأصْبَرا
إذا شُرِعت فيه الأسِنَّةُ خاضَها ... الى الموت حتى يترُك الرُّمح أحمرَا
فأقسمتُ لا تنفَكُّ عيني سَخِينَةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدِيَ أغبرا[1]
مَدَى الدَّهْرِ ما غنّت حمامةُ أيكةٍ ... وما طردَ الليلُ الصَّباحَ المُنَوَّرَا

عمر بن الخطاب وعاتكة:

فخطبها عمر بن الخطاب فقالت قد كان أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده قال فاستفتي فاستفتت علي بن أبي طالب عليه السلام فقال ردي الحديقة على أهله وتزوجي فتزوجت عمر.

فسرح[2] عمر إلى عدة من أصحاب رسول الله فيهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه - يعني دعاهم - لما بنى بها فقال له علي إن لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكرها إياها فقل لها تستتر حتى أكلمها فقال لها عمر استتري يا عاتكة فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك فأخذت عليها مرطها فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها فقال يا عاتكة

فأقسمتُ لا تنفَكُّ عيني سخِينَةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدِيَ أغبرا

(٤) سخينة: دامعة.
(٥) سرَّح: دعا.

فقال له عمر ما أردت إلى هذا فقال وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل وقد قال الله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج فقال عمر ما حسن الله فهو حسن فلما قتل عمر قالت ترثيه

عـــينُ جُـــودِي بعَبْـــرةٍ ونَحيـــبِ ... لا تمَلِّـي علـى الإمـام النَّجيـبِ
فجعتنـا المَنُـون بالفـارس المُعْلَـم ... يـــوم الهيـــاج والتَّلْبيـــبِ
عِـصْمَة اللهِ والمُعِـين علـى الـدَّهْرِ ... غِيـــاثِ المُنْتـــابِ والمَحْـــرُوبِ
قـل لأَهْـلِ الـضَّرَّاء والبُـؤْسِ مُوتُـوا ... قد سَقتْه المَنونُ كأسَ شَعُوبِ

فلما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما ملكها قال يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد وكانت امرأة عجراء بادنة فقالت يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله وأبي بكر وعمر فيه قال فإني لا أمنعك فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج فقام لها في سقيفة بني ساعدة فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها فقالت مالك قطع الله يدك ورجعت فلما رجع من المسجد قال يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك قالت يرحمك الله أبا عبد الله فسد الناس بعدك الصلاة اليوم في القيطون[1] أفضل منها في البيت وفي البيت أفضل منها في الحجرة فلما قتل عنها الزبير بوادي السباع رثته فقالت:

غَـدرَ ابـنُ جُرمـوز بفـارس بُهْمَـةٍ ... يـوم اللقـاء وكـان غـيرَ مُعَـرِّدِ
يـا عَمْـرُو لـو نَبَّهْتَـه لوجدْتـه ... لا طائِشاً رعِشَ اللِّسان ولا اليَدِ
هبِلَتْـك[2] أمُّـك إن قَتَلْـت لَمُـسْلِماً ... حلَّـت عليـك عُقوبـةُ المُتَعَمِّـدِ

فلما انقضت عدتها تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فكانت أول من رفع خده من التراب - صلى الله عليه وآله ولعن قاتله والراضي به يوم قتل - وقالت ترثيه .

وحُـسَيْناً فـلا نَـسِيتُ حُـسَيْناً ... أقـــصدَتْه أسِـــنَّةُ الأعـــداء
غـــادَروه بكَـــرْبلاءَ صَـــريعاً ... جـادَتِ المُـزنُ في ذَرَى كَـرْبَلاء

(٦) القيطون : المخدع .
(٧) هبلتك : تستخدم في الدعاء على الشخص .

ثم تأيمت بعده فكان عبد الله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ويقال إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه وقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله .

ويروى أن علي بن أبي طالب خطبها فقالت له إني لأضن بك على القتل يا بن عم رسول الله.

obeikandl.com

٢- أُرينب بنت إسحاق[1]

كان عبد الله بن سلام واليا بالعراق من قبل معاوية وكانت أرينب بنت اسحق زوجا له وهي من أجمل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد ابن معاوية قد هام بجمالها وأدبها على السماع وبما بلغه عنها من حسن الخلق والخُلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره خصيصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية إلى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه.

فقال معاوية: مهلا يا يزيد قال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل فقال معاوية وأين حجاك[2] ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجى ونفد الصبر قال يا بني ساعدني على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره وكانت أرينب بنت اسحق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الأمثال فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب إلى عبد الله ابن سلام يستحثُّه على الحضور لمصلحة عينّها له وكان معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا الرسول ﷺ فلما قدم عليه عبد الله بن سلام الشام أعد له معاوية منزلا حسنا ونقله إليه وبالغ في إكرامه ثم قال لأبي هريرة وأبي الدرداء أن ابنتي قد بلغت وأريد انكاحها وقد رضيت عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى ولكن أرجو أن لا تخرج عن رأيي إن شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله بن سلام وإنكاحي إياك منه وحضاك على المسارعة إلى رضائي فقولي لهما عبد الله بن سلام كفء كريم غير أن تحته أرينب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ولست بفاعلة حتى يفارقها.

وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فإنهما لما وصلا إلى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية فردهما خاطبين عنه فلما مثلا بين يدي معاوية قال إني كنت

(٨) انظر: ثمرات الأوراق للحموي (صـ٢٢٩)، أعلام النساء لكحالة (١/ ٣٤).
(٩) حجاك: عقلك.

أعلمتكما أنني جعلت لها في نفسها شورى فادخلا عليها واعلمها بما رأيت لها فدخلا وأعلماها بذلك فأبدت ما قرره أبوها عندها من قبل فعادا إلى عبد الله بن سلام فأعلماه بذلك ففهم المراد وأشهدهما عليه بطلاق أرينب وبعثهما إليه خاطبين فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق أرينب فأظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا أحببته فانصرفا في عافية وعودا غلينا وكتب إلى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرينب بنت اسحق وعاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة إلى معاوية فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لي أن أكرهها وقد جعلت الشورى في نفسها فدخلا عليها وأعلماها بطلاق عبد الله ابن سلام امرأته ليسرها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومروءته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا أنكر شرفه وفضله وإني سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال: وفقك الله، وخار لك، وانصرفا عنها، وأعلما عبد الله بولها، فأنشد:

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب

ثم تزايد حديث الناس بطلاق أرينب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله أبا الدرداء وأبا هريرة فاتياها فقال لها اصنعي ما أنت صانعة واستخيري الله فقالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد اختار لي فإنه لا يكل إلى غيره وقد استبرأت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهي عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم أنه حيلة وأنه مخدوع وقال متعزيا ليس لأمر الله راد ولعل ما سرّوا به لا يدوم لهم سروره قال وذاع أمره وفشا في الناس.

وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ما صنع ثن إن معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ فقال أبو الدرداء إلى قدم العراق ما ينبغي لذي عقل أن يبدأ بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة إذا دخل موضعا هو فيه فقصد الحسين ﷺ فلما رآه قام إليه وصافحه إجلالا لصحبته لجده ﷺ وقال ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحق فرأيت عليَّ حقا أن لا أبدأ بشيء قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك وأثنى عليه.

وقال لقد ذكرت نكاحها وأردت الإرسال إليها إذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله عليَّ وعليه وهي أمانة في عنقك وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه.

فقال أفعل إن شاء الله فلما دخل قال أيتها المرأة إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لأحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله ابن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يضيرك وجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ وابن أول من أقر به من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو جاءني هذا الأمر وأنت غائب لأشخصت فيه الرسل إليك وجعلته في يديك فاختر لي أرضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفيا.

فقال أبو الدرداء أيتها المرأة إنما علي إعلامك ولك الاختيار لنفسك، فقالت عفا الله عنك إنما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الأمانة فلم يجد بدا من القول.

فقال يا بنية: ابن بنت رسول الله ﷺ أحب إلي في ذلك وأرضى عندي والله أعلم وقد رأيت رسول الله ﷺ واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله ﷺ شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن علي عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما.

وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذا بلهٍ وعمى ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها ذهبًا وبدراتٍ مملوءةٍ دُرًّا، وكان معاوية قد اطّرحه وقطع عنه جميع روافده لقوله إنه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قلَّ ما بيده فرجع إلى العراق فلما قدمها لقي الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبري وخبر أرينب وكنت قبل فراقي إياها استودعتها مالا وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله إن ظني بها جميل فذاكرها في أمري فإن الله يجزيك به أجرك فسكت عنه.

فلما انصرف إلى أهله قال لها: قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسرني ذلك وذكر أنه استودعك مالا فقالت صدق استودعني مالا لا أدري لمن هو وأنه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه إليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيرا وقال ألا أدخله عليك حتى تبرئي منه ولقي عبد الله فقال: ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته إليها بطابعك.

فادخل يا هذا إليها واستوف مالك بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأخرجت إليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر وأثنى فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك جانبا كبيرا وقال لها والله هذا قليل مني فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال أشهد الله إنها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم أنني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكني أردت إحلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيئا مما ساق لها في مهرها بعدما عرضته عليه.

وقال: الذي أرجوه من الثواب خير لي فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما هكذا نقله ابن بدرون في تاريخه والله أعلم.لك وأثنى عليه وقال لقد ذكرت نكاحها وأردت الإرسال إليها إذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله عليَّ وعليه وهي أمانة في عنقك أعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل إن شاء الله.

فلما دخل قال أيتها المرأة إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لأحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله ابن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يضيرك وجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد ابن معاوية والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ وابن أول من أقر به من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت: يا أبا الدرداء لو جاءني هذا الأمر وأنت غائب لأشخصت فيه الرسل إليك وجعلته في يديك فاختر لي أرضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفيا.

فقال أبو الدرداء أيتها المرأة إنما علي إعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك إنما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الأمانة فلم يجد بدا من القول فقال يا بنية: ابن بنت رسول الله ﷺ أحب إلي في ذلك وأرضى عندي والله أعلم وقد رأيت رسول الله ﷺ واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله ﷺ شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن علي عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذا بلهٍ وعمى ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها ذهبا وكان معاوية قد اطّرحه وقطع عنه جميع روافده لقوله إنه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قلَّ ما بيده فرجع إلى العراق فلما قدمها لقي الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبري وخبر أرينب وكنت قبل فراقي إياها استودعتها مالا وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله إن ظني بها جميل فذاكرها في أمري فإن الله يجزيك به أجرك فسكت عنه فلما انصرف إلى أهله قال لها: قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسرني ذلك وذكر أنه استودعك مالا فقالت صدق استودعني مالا لا أدري لمن هو وأنه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه إليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيرا وقال إلا أدخله عليك حتى تبرئي منه.

ولقي عبد الله فقال: ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته إليها بطابعك فادخل يا هذا إليها واستوف مالك بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأخرجت إليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر وأثنى فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى[1] لها من ذلك جانبا كبيرا وقال لها والله هذا قليل مني فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال أشهد الله إنها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم أنني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكني أردت إحلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيئا مما ساق لها في مهرها بعدما عرضته عليه.

وقال: الذي أرجوه من الثواب خير لي فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما.

(١٠) حثالها: أعطاها.

٣- هند بنت كعب[1]
أجمل نساء الدنيا

هي هند بنت كعب بن عمرو النهدي ، إحدى جميلات العرب وتعلق بها عبد الله ابن عجلان يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب.

وسبب اعتلاقه بها ، أنه خرج يوماً إلى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه.

ولمّا عبد الله ربوة تشرف على النهر المذكور ورآهن على تلك الحالة، فمكث ينظر إليهن مستخفياً فصعدن حتى بقيت هند ، وكانت طويلة الشعر فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر، ونهض ليركب راحلته فعجز، وأقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك أن العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته فأنشد فوراً :

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة إذا شئت لمساً للثريا لمستها

أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت بقلبي ولو أستطيع ردّ أرددتها

ثم قال هذه والله الضالة التي لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر صديقاً له، فقال اكتم ما بك واخطبها إلى أبيها فإنه يزوجك بها وإن أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها وأقاما على أحسن حال، وأنعم بال لا يزاد فيها إلا غراماً فمضى عليهما ثمان سنين وأنها أقامت على ذلك تحمل، وكان أبوه ذا ثروة ليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبى فألح عليه وهو لم يجب إلى أن بلغه يوماً أن عبد الله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وأرسل إليه يدعوه، وقد جلس مع أكابر الحي فمنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما أظنه إلا عرف أنك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لمت وأظن أنك فاعل.

---

(١١) انظر : تزيين الأسواق (١/ ٢٠٤)، الأغاني (٢٢/ ٢٣٦)، الشعر والشعراء لابن قتيبة (صـ٦٠٤)، مصارع العشاق (٢/ ٢٧).

قال في النزهة وكان قد خلى على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا وأخبرت هند أنها ستطلق، فأبي عبد الله إلا الخروج فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فأثرت في ثوبه. فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فأقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها، فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجداً كد أن يقضي معه وأنشد:

طلقت هنداً طائعاً ... فندمت بعد فراقها
فالعين يذرف دمعها ... كالدر من آماقها
متحلباً فوق الردا ... فتجول في رقراقها
خود[1] رداح طفلة ... ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألذ حديثها ... وأسر عند عناقها
إن كنت ساقية ببـ ... ـزل الأدم أو بحقاقها
فاسقي بني نهد إذا ... شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم أحلـ ... ـقها غداة لحاقها
بأسنة زرق منحن الـ ... ـقوم حد رقاقها
حتى ترى قصد القنا ... والبيض في أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد، وتوفي على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام، وكان سبب وفاته على الأصح أنه قصد هنداً وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر، وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة، فحذره أبوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الأشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب.

فأبى وخرج سراً حتى أتاها، فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي إبلاً له، فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا إلى الأرض. فجاء زوجها فوجدهما ميتين.

وقيل أن عجوزاً دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم أنه عاشق وأن يطبخوا له شاة ويرفعوا قلبها ويقدموها إليه، ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال أما

(١٢) الخود: المرأة الشابة.

لشاتكم قلب فقال له أخوه أعاشق أنت ولم تدر، فتأوه ومات. وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف كالذي في ثوبه، حين جاذبته فمات، وقيل أنه ترنم بهذه الأبيات يوماً ومد بها صوته فمات وهي:

ألا أن هند أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حموتها حما

فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما

وقيل أن هذه الأبيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولع بهند بنت عتبة وأراد زواجها، فخرج إلى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها، وقيل أنها حملت منه فخرج هارباً، وأصابه من عشقها مرض كبر معه فاستحضر له النعمان أطباء العرب فأجمعوا على كيه فكوي وبرىء، فقدم أبو سفيان أو هو غيره فسأله عن مكة.

فلما انتهى إلى زواج هند شهق فمات، وقيل خرج فمات في الطريق.

٤- هند بنت النعمان بن المنذر[١]

كان عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب الشاعر العبادي يهوى هند بنت النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس ابن عمرو ابن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولها يقول:

عَلِقَ الأحشاءَ من هِندٍ عَلَقْ مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ وأَرَقْ

وهي قصيدة طويلة وفيها أيضا يقول:

مَنْ لِقَلب دَنِفٍ أو مُعتَمَدْ قد عَصَى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَدّ

وهي طويلة وفيها أيضا يقول :

يا خليليّ يَسِّرَا التعسيرَا ثم رُوحَا فهجِّرا تهجِيرَا

عرِّجا بي على ديارِ لهندٍ ليس أن عُجْتُما المَطِيَّ كبيرَا

قال ابن الكلبي وقد تزوجها عدي .

وقال ابن أبي سعد وذكر ذلك خالد.

ابن كلثوم أيضا قالا كان سبب عشقه إياها أن هندا كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها وأمها مارية الكندية فخرجت في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة أيام تتقرب في البيعة ولها حينئذ أحدى عشرة سنة وذلك في ملك المنذر وقد عدي حينئذ بهدية من كسرى إلى المنذر والنعمان يومئذ فتى شاب فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي ليتقرب وكانت مديدة القامة عبلة[1] الجسم فرآها عدي وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها وقد كان جواريها رأين عديا وهو مقبل فلم يقلن لها ذلك كي يراها عدي وإنما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها مارية وقد كانت أحبت عديا فلم تدر كيف تأتي له .

فلما رأت هند عديا ينظر إليها شق ذلك عليها وسبت جواريها ونالت بعضهن بضرب فوقعت هند في نفس عدي فلبث حولا لا يخبر بذلك أحدا فلما كان بعد

(١٣) انظر : الأغاني (٢/ ١٢٨)، أعلام النساء (٥/ ٢٥٩).

(١٤) العبلة : الممتلئة الجسم.

حول وظنت مارية أن هندا قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة دومة وقال خالد ابن كلثوم بيعة توما وهو الصحيح ووصفت لها من فيها من الرواهب ومن يأتيها من جواري الحيرة وحسن بنائها وسرجها وقالت لها سلي أمك الإذن لك في إتيانها فسألتها ذلك فأذنت لها وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر فبادر فلبس يلمقا كان فرخانشاه مرد قد كساه إياه وكان مذهبا لم ير مثله حسنا .

وكان عدي حسن الوجه مديد القامة حلو العينين حسن المبسم نقي الثغر .

وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة فدخل البيعة فلما رأته مارية قالت لهند انظري إلى هذا الفتى فهو والله أحسن من كل ما ترين من السرج وغيرها قالت ومن هو قالت عدي بن زيد قالت أتخافين أن يعرفني إن دنوت منه لأراه من قريب قالت ومن أين يعرفك وما رآك قط من حيث يعرفك فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحته وما عليه من الثياب فذهلت لما رأته وبهتت تنظر إليه .

وعرفت مارية ما بها وتبينته في وجهها فقالت لها كلميه فكلمته وانصرفت وقد تبعته نفسها وهويته وانصرف بمثل حالها .

فلما كان الغد تعرضت له مارية فلما رآها هش لها وكان قبل ذلك لا يكلمها وقال لها ما غدا بك قالت حاجة إليك قال اذكريها فوالله لا تسأليني شيئا إلا أعطيتك إياه فعرفته أنها تهواه وأن حاجتها الخلوة به على أن تحتال له في هند وعاهدته على ذلك فأدخلها حانوت خمار في الحيرة ووقع عليها ثم خرجت فأتت هندا فقالت أما تشتهين أن تري عديا قالت وكيف لي به قالت أعده مكان كذا وكذا في ظهر القصر وتشرفين عليه قالت افعلي فواعدته إلى ذلك المكان فأتاه وأشرفت هند عليه فكادت تموت وقالت إن لم تدخليه إلي هلكت .

فبادرت الأمة إلى النعمان فأخبرته خبرها وصدقته وذكرت أنها قد شغفت به وأن سبب ذلك رؤيتها إياه في يوم الفصح وأنه إن لم يزوجها به افتضحت في أمره أو ماتت فقال لها ويلك وكيف أبدؤه بذلك فقالت هو أرغب في ذلك من أن تبدأه أنت وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره .

وأتت عديا فأخبرته الخبر وقالت ادعه فإذا أخذ الشراب منه فاخطب إليه فإنه غير رادك قال أخشى أن يغضبه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا قالت ما قلت لك هذا حتى فرغت منه معه فصنع عدي طعاما واحتفل فيه ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام وذلك في يوم الاثنين فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ففعل فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان فأجابه وزوجه وضمها إليه بعد ثلاثة أيام .

هند حبيسة الدير:

قال خالد بن كلثوم فكانت معه حتى قتله النعمان فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة .

وقد مر المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة بدير هند فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها فأذنت له وبسطت له مسحا فجلس عليه ثم قالت له ما جاء بك قال جئتك خاطبا قالت والصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبتك في لأجبتك ولكنك أردت أن تقول في المواسم ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته فبحق معبودك أهذا أردت قال أي والله قالت فلا سبيل إليه فقام المغيرة وانصرف.

٥- ضباعة بنت عامر[1]

ضباعة بنت عامر بن قرط ابن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

روى هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت ضباعة بنت عامر عند هوذة بن علي الحنفي، فهلك عنها فورثها مالاً كثيراً، فتزوجها عبد الله بن جدعان التيمي، وكان لا يولد له فسألته الطلاق فطلقها، فتزوجها هشام ابن المغيرة فولدت له سلمة، وكان من خيار المسلمين، فتوفى عنها هشام، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئاً كثيراً، وكانت تغطي جسدها بشعرها، فذكر جمالها عند النبي ﷺ، فخطبها إلى ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة، فقال: حتى أستأمرها، وقيل للنبي ﷺ: إنها قد كبرت فأتاها ابنها فقالت: ما قلت له؟ قال: قلت حتى أستأمرها، فقالت: وفي النبي ﷺ يستأمر! ارجع فزوجه، فرجع إلى النبي ﷺ فسكت عنه.

وعن المطّلب بن الوداعة السّهميّ قال: كانت ضباعة بنت عامر، من بني عامر ابن صعصعة، تحت عبد الله بن جدعان. فمكثت عنده زماناً لا تلد، فأرسل إليها هشام بن المغيرة: ما تصنعين بهذا الشّيخ الكبير الذي لا يولد له: فقولي له فليطلّقك. فقالت ذلك لعبد الله بن جدعان، فقال لها: إنّي أخاف إن طلّقتك تتزوّجي هشام بن المغيرة؟؟! قالت له: فإنّ لك عليّ أن لا أفعل هذا. قال لها: فإن فعلت، فإنّ عليك مائةً من الإبل تنحرينها وتنسجين ثوباً يقطع ما بين الأخشبين[1] وتطوفين بالبيت عريانةً. قالت: لا أطيق ذلك.

وأرسلت إلى هشام فأخبرته، فأرسل إليها ما أهون ذلك، وما يكن بك من ذلك، أنا أيسر من قريش في المال، ونسائي أكثر النّساء بالبطحاء، وأنت أجمل النّساء ولا تعابين في عريك، فلا تأبي ذلك عليه. فقالت لابن جدعان: طلّقني، فإن تزوّجت هشاماً فعليّ ما قلت. فطلّقها بعد استيثاقه منها. فتزوّجها هشام، فنحر عنها مائة جزور، وأمر نساؤه فنسجن ثوباً يملأ ما بين الأخشبين، ثمّ طافت

(١٥) انظر: أخبار النساء لابن القيم (صـ١٢٥)، خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٢١٥)، بلاغات النساء لابن أبي طاهر (صـ١٧٨)، أعلام النساء (٢/ ٣٥٤)، الإصابة لابن حجر (كتاب النساء. ترجمة: ٦٧٠).

(١٦) الأخشبين: جبلان بمكة.

بالبيت عريانةً. قال المطّلب: فأتبعها بصري إذا أدبرت وأستقبلها إذا أقبلت، فما رأيت شيئاً ممّا خلق الله منها وهي واضعة يدها على فرجها وقريش قد أحدقت بها ، وهي تقول:

اليـوم يبـدو بعـضه أو كلّـه ومـا بـدا منـه فـلا أحلّـه

obeikandl.com

٦- صفية بنت حيي ﷺ

نسبها:

هي صفية بنت حيي بن أخطب. يتصل نسبها بهارون النبي عليه السلام.

تقول:" كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه. فلما قدم رسول الله المدينة، غدا عليه أبي وعمي مغسلين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي أحد منهما مع ما بهما من الغم. وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال نعم والله. قال عمي: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ أجاب: عداوته والله ما بقيت".

مولدها ومكان نشأتها:

لا يعرف بالضبط تاريخ ولادة صفية، ولكنها نشأت في الخزرج، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف. ودانت باليهودية وكانت من أهل المدينة. وأمها تدعى برة بنت سموال.

صفاتها:

عرف عن صفية أنها ذات شخصية فاضلة، جميلة حليمة، ذات شرف رفيع،

حياتها قبل الإسلام:

كانت لها مكانة عزيزة عند أهلها، ذكر بأنها تزوجت مرتين قبل اعتناقها الإسلام. أول أزواجها يدعى سلام ابن مشكم كان فارس القوم وشاعرهم. ثم فارقته وتزوجت من كنانة ابن الربيع ابن أبي الحقيق النصري صاحب حصن القموص، أعز حصن عند اليهود. قتل عنها يوم خيبر.

كيف تعرفت على رسول الله ﷺ:

في السنة السابعة من شهر محرم، استعد رسول الله عليه الصلاة والسلام لمحاربة اليهود. فعندما أشرف عليها قال: " الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين".

واندلع القتال بين المسلمين واليهود ، فقتل رجال خيبر، وسبيت نساؤها ومن بينهم صفية ، وفتحت حصونها. ومن هذه الحصون كان حصن ابن أبي الحقيق. عندما عاد بلال بالأسرى مر بهم ببعض من قتلاهم، فصرخت ابنة عم صفية ، وحثت بالتراب على وجهها ، فتضايق رسول الله من فعلتها وأمر بإبعادها عنه. وقال لصفية بأن تقف خلفه ، وغطى عليها بثوبه حتى لا ترى القتلى. فقيل إن الرسول اصطفاها لنفسه.

وذكر أن دحيه بن خليفة ، جاء رسول الله يطلب جارية من سببي خيبر. فاختار صفية ، فقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام إنها سيدة قريظ وما تصلح إلا لك. فقال له النبي خذ جارية غيرها.

إسلامها:

كعادة رسول الله لا يجبر أحداً على اعتناق الإسلام إلا أن يكون مقتنعاً بما أنزل الله من كتاب وسنة. فسألها الرسول ﷺ عن ذلك، وخيرها بين البقاء على دين اليهودية أو اعتناق الإسلام. فإن اختارت اليهودية اعتقها ، وإن أسلمت سيمسكها لنفسه. وكان اختيارها الإسلام الذي جاء عن رغبة صادقة في التوبة وحباً لهدي محمداً ﷺ.

عند قدومها من خيبر أقامت في منزل لحارثة بن النعمان، وقدمت النساء لرؤيتها لما سمعوا عن جمالها ، وكانت من بين النساء عائشة - رضي الله عنها - ذكر بأنها كانت منقبة. وبعد خروجها سألها رسول الله عن صفية ، فردت عائشة: رأيت يهودية ، قال رسول الله: " لقد أسلمت وحسن إسلامها".

يوم زفافها لمحمد عليه الصلاة والسلام:

أخذها رسول الله إلى منزل في خيبر، ليتزوجا ولكنها رفضت، فأثر ذلك على نفسية رسولنا الكريم. فأكملوا مسيرهم إلى الصهباء. وهناك قامت أم سليم بنت ملحان بتمشيط صفية وتزينها وتعطيرها ، حتى ظهرت عروساً تلفت الأنظار. كانت تعمرها الفرحة ، حتى أنها نسيت ما ألم بأهلها. وأقيمت لها وليمة العرس، أما مهرها فكان خادمة تدعى رزينة. وعندما دخل الرسول عليه الصلاة والسلام على صفية ، أخبرته بأنها في ليلة زفافها بكنانة رأت في منامها قمراً يقع في حجرها ، فأخبرت زوجها بذلك، فقال غاضباً: " لكأنك تمنين ملك الحجاز محمداً ولطمها على وجهها.

ثم سألها الرسول عليه الصلاة والسلام عن سبب رفضها للعرس عندما كانا في خيبر، فأخبرته أنها خافت عليه قرب اليهود. قالت أمية بنت أبي قيس سمعت أنها لم تبلغ سبع عشرة سنة يوم زفت إلى رسول الله ﷺ.

مواقفها مع زوجات النبي:

بلغ صفية أن حفصة وعائشة قالا بأنها بنت يهودي. فتضايقت من قولهن وأخبرت رسول الله فقال لها: قولي لهما: " إنك لابنة نبي وعمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك" حج النبي بنسائه، وفي الطريق برك جملها فبكت. فمسح الرسول عليه الصلاة والسلام دموعها وهي تزداد دموعاً وينهاها فلما جاء وقت الرواح، قال رسول الله لزينب بنت جحش: يا زينب اقفزي أختك جملاً. وكانت من أكثرهن ظهراً قالت: أنا أقفز يهو ديتك؟! فغضب النبي ولم يكلمها حتى رجع المدينة وفي شهر ربيع الأول دخل عليها، فقالت: هذا ظل رجل وما يدخل علي رسول الله! فدخل النبي فلما رأته قالت: يا رسول، ما أصنع؟ قالت: وكانت لها جارية تخبؤها من النبي فقالت فلانه لك، قال: فمشى النبي إلى سرير صفية ورضي عن أهله.

وفاة النبي عليه الصلاة والسلام:

اجتمعت زوجات النبي عنده وقت مرضه الذي توفي به، فقالت صفية أتمنى أن يحل بي ما ألم بك. فغمزتها زوجات النبي، فرد عليهن والله إنها لصادقة.

وبعد وفاته ﷺ افتقدت الحماية والأمن، فظل الناس يعيرونها بأصلها.

مواقف أخرى لصفية:

وفي أحد الأيام ذهبت صفية إلى رسول الله تتحدث معه، وكان معتكفا في مسجده، فخرج ليوصلها إلى بيتها. فلقيا رجلين من الأنصار، فعندما رأيا رسول الله رجعا فقال:" تعاليا فإنها صفية" فقالا نعوذ بالله، سبحان الله يا رسول الله. فقال: "إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم".

وفي عهد عمر بن الخطاب - ﷺ - ، جاءته جارية لصفية تخبره بأن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فلما استخبر صفية عن ذلك، فأجابت قائلة" فأما

السبت لم أحبه بعد أن أبدلني الله به بيوم الجمعة، وأما اليهود فإني أصل رحمي". وسألت الجارية عن سبب فعلتها فقالت: الشيطان. فأعتقتها صفية.

وفي عهد عثمان - ﷺ - لم تأل جهدا في ولائها له، الذي ما فتئت عائشة تحرض عليه حتى بلغ بها الأمر أن دلت قميص رسول الله من بيتها وصاحت في المسلمين: "أيها الناس، هذا قميص رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته" أي أن آثار الرسول ما زالت باقية، وإن سنته قد انتهكت وبليت بسبب عثمان.

روايتها للحديث:

لها في كتب الحديث عشرة أحاديث. أخرج منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه - روى عنها ابن أخيها ومولاها كنانة ويزيد بن معتب، وزين العابدين بن علي بن الحسين، واسحاق بن عبد الله بن الحارث، ومسلم بن صفوان.

وفاتها:

توفيت في المدينة، في عهد الخلفية معاوية، سنة ٥٠ هجرياً. ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين، رضي الله عنهن جميعاً.

(حلية الأولياء ٢/٦٦. والطبقات الكبرى ٨/١٢٨. وسير أعلام النبلاء ٣/٥١٥)

٧- عائشة بنت طلحة[1]

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم التيمية، أمها أم كلثوم ابنة الصديق؛ تزوجت بابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر وبعده بمصعب بن الزبير، وكان صداقها مائة ألف دينار، وكانت أجمل أهل زمانها وأحسنهن وأرأسهن، . وكانت لا تستر وجهها من أحد، فعاتبها مصعب في ذلك فقالت: إن الله ﷻ وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنت لأستره، ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد.

ولم تزل عند مصعب حتى قتل عنها. فخطبها بشر بن مروان، وقدم عمر أبن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام فنزل الكوفة، فبلغه أن بشراً خطبها، فأرسل إليها جارية لها وقال: قولي لأبنة عمي: ابن عمك يقرئك السلام ويقول لك: أنا خير لك من هذا المبسور المطحول، وأنا أبن عمك أحق بك، وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيراً. فتزوجته فبني عليها بالحيرة، فمهدت له سبعة أفرشة عرضها أربع أذرع؛ فأصبح ليلة بني بها عن تسعة. فلقيته مولاة لها فقالت: أبا حفص، فديتك؟! قد كملت في كل شيء حتى في هذا. وقيل إنه لما تزوجها حمل إليها ألف ألف درهم، خمسمائة ألف مهر، وخمسمائة ألف هدية، وقال لمولاتها: لك علي ألف دينار إن دخلت بها الليلة، وأمر بالمال فحمل فألقي في الدار وغطى بالثياب؛ وخرجت عائشة فقالت لمولاتها: ما هذا؟ أفرشٌ أم ثيابٌ؟ قالت: انظري إليه؛ فنظرت فإذا هو مال، فتبسمت. فقالت الجارية: أجزاء من حمل هذا المال أن يبيت عزبا ! قالت: لا والله، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزين له وأستعد. قالت: وماذا؟ فوالله لوجهك أحسن من كل زينة وما تمدين يديك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فراش إلا وهو عندك، وقد عزمت عليك أن تأذني له. فقالت: أفعلي. فذهبت إليه فقالت له: بت بنا الليلة. فجاءهم عند العشاء الآخرة فأدني إليه طعام فأكل الطعام كله حتى أعرى الخوان وغسل يده وسأل عن المتوضأ فأخبر به، فقام فتوضأ وقام يصلي حتى ضاق صدري ونمت، ثم قال: أعليكم آذن؟ قلت: نعم فأدخل، فأدخلته وأسبلت الستر عليهما. فلما أصبحنا وقفت على

(١٧) انظر: تاريخ دمشق (٦٩/ ٢٤٨)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٦٧)، المعارف لابن قتيبة (صـ٢٣٣)، الأغاني (١١/ ١٧٦).

رأسه فقال: أتقولين شيئا؟ قلت: نعم والله ما رأيت مثلك ! فضحك وضرب بيده على منكب عائشة وقال لها: كيف رأيت أبن عمك؟ فضحكت وغطت وجهها وقالت:

قد رأيناك فلم تحل لنا وبلوناك فلم نرض الخبر

ومكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله ثماني سنين حتى مات سنة اثنتين وثمانين. ولما مات ندبته قائمةً، ولم تندب أحداً قبله من أزواجها إلا جالسة. فقيل لها في ذلك فقالت: إنه كان أكرمهم عليّ وأمسهم بي رحماً، فأردت ألا أتزوج بعده. وكانت المرأة إذا ندبت زوجها قائمةً لا تتزوج بعده أبدا. ولم تتزوج عائشة بنت طلحة بعد زوجها عمر بن عبيد الله. فقيل لها: يا عائشة! والله ما صنعت هذا بأحدٍ من أزواجك! فقالت: إنه كان فيه خلالٌ ثلاث، لم تكن في واحدٍ منهم: كان سيد بني تيم، وكان أقرب القوم، وأردت أن لا أتزوج بعده أبداً. قال: فعلم أنها كانت تؤثره على غيره.

وحكى أبو الفرج أن مصعب بن الزبير لما عزم على زواج عائشة بنت طلحة، جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وسعيد بن العاص إلى عزة الميلاء وكانت عزة هذه يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء فقالوا لها: إنا خطبنا فأنظري لنا. فقالت لمصعب: يا أبن أبي عبد الله، ومن خطبت؟ قال: عائشة بنت طلحة. قالت: فأنت يا ابن أبي أحيحة؟ قال: عائشة بنت عثمان بن عفان. قالت: فأنت يا أبن الصديق؟ قال: أم الهيثم بنت زكريا بن طلحة. فقالت: يا جارية، هاتي منقلي تعني خفيا، فلبستهما وخرجت ومعها خادمٌ لها، فبدأت بعائشة بنت طلحة، فقالت: فديتك، كنا في مأدبة أو مأتم لقريش، فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدر كيف أصفك، فديتك، فألقي ثيابك؛ ففعلت فأقبلت وأدبرت فأريج كل شيء منها. فقالت لها عزة: خذي ثوبك. فقالت عائشة: قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي. فقالت عزة: وما هي؟ فديتك ! قالت: تغنيني صوتا. فأندفعت تغني لحنها في شعرٍ لجميل بن عبد الله بن معمر العذري:

خليليّ عوجا بالمحلّة من جمل وأترابها بين الأصيفر فالحبل

نقفٌ بمغانٍ قد عفا رسمها البلي تعاقبها الأيام بالرّيح والوبل

فلـو درج النّمـل الـصغار بجلـدها لأنـدب أعلـى جلـدها مـدرج النّمـل
وأحـسن خلـق اللّه جيـداً ومقلـةً تشبّه في النسوان بالشادن الطّفـل

فقبلت عائشة ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وطرائف من أنواع الفضة، فدفعته إلى مولاتها. وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن. ثم اتت القوم في السقيفة. فقالوا: ما صنعت؟ فقالت: يا ابن أبي عبد اللّه، أما عائشة فلا واللّه ما رأيت مثلها مقبلةً ولا مدبرة، محطوطة المتنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقية الثغر وصفحة الوجه، فرعاء الشعر، ممتلئة الصدر، خميصة البطن ذات عكنٍ، ضخمة السرة، مسرولة الساق، يريج ما بين أعلاها إلى قدميها؛ وفيها عيبان، أما أحدهما فيواريه الخمار، وأما الآخر فيواريه الخف: عظم الأذن والقدم. وكانت عائشة بنت طلحة كذلك. ثم قالت عزة: وأما أنت يا ابن أبي أحيحة فإني واللّه ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمانٍ لامرأةٍ قط ! ليس فيها عيب واللّه لكأنما أفرغت إفراغاً ولكن في الوجه ردةٌ، وإن أستشرتني أشرت عليك. قال: هات. قالت: عليك بوجه تستأنس به. وأما أنت يا أبن الصديق: فواللّه ما رأيت مثل أم الهيثم، كأنها خوط بانة تتثني، أو كأنها جانٌ يتثنى على رمل، لو شئت أن تعقد طرفيها لفعلت، ولكنها شختة الصدر وأنت عريض الصدر، فإذا كان كذلك كان قبيحاً، لا واللّه حتى يملأ كل شيء مثله. قال: فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن.

وكانت عائشة بنت طلحة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها، ولم تلد عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها إلا من عبد اللّه ابن عبد الرحمن بن أبي بكر. وهو ابن خالها وأبو عذرها (يعني أنه أول من تزوجها والعذرة: البكارة)، وولدت له عمران، وبه تكنى، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة، وتزوجها الوليد بن عبد الملك؛ وطلحة ولدها من أجواد قريش. وصارمت عبد اللّه مرة وخرجت من دارها غضبى، فمرت في المسجد وعليها ملحفة تريد عائشة أم المؤمنين، فرآها أبو هريرة فسبح وقال: سبحان اللّه كأنها من الحور العين.

ونظر ابن أبي ذئب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت، فقال لها: من أنت؟ فقالت:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبةً ولكـن ليقـتلن البريء المغفـلا

فقال لها: صان الله ذلك الوجه عن النار. فقيل له: أفتنتك يا عبد الله؟ قال: لا، ولكن الحسن مرحوم.

وقال يونس: أخبرني محمد بن إسحاق، قال: دخلت على عائشة بنت طلحة فوجدتها متكئة، ولو أن بختية نوخت خلفها ما ظهرت.

السري بن إسماعيل عن الشعبي، قال: إني لفي المسجد نصف النهار، إذ سمعت باب القصر يفتح، فإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة. فقال: يا شعبي، اتبعني. فاتبعته. فأتى دار موسى بن طلحة، فدخل مقصورةً ثم دخل أخرى، ثم قال: يا شعبي، اتبعني، فاتبعته. فإذا امرأة جالسة، عليها من الحلى والجواهر ما لم أر مثله، وهي أحسن من الحلى الذي عليها. فقال: يا شعبي، هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر:

وما زلت في ليلى لدن طر شاربي ... إلى اليوم أخفي حبها وأداجن

وأحمل في ليلى لقوم ضغينةً ... وتحمل في ليلى علي الضغائن

هذه عائشة بنت طلحة. فقالت له: أما إذا جلوتني عليه فأحسن إليه. فقال: يا شعبي. رح العشية، فرحت. فقال: يا شعبي، ما ينبغي لمن جليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف. فأمر لي بكسوة وقارورة غالية. فقيل للشعبي في ذلك اليوم: كيف الحال؟ قال: وكيف حال من صدر عن الأميرة ببدرة وكسوة، وقارورة غالية، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة.